بسم الله الرحمن الرحيم

أمير المؤمنين - نصره الله - يردّ على مطاعن البابا

ملخص خطبة الجمعة التي ألقاها سيدنا الخليفة الخامس للمسيح الموعود ؑ في ١٥/ ٩/ ٢٠٠٦م

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بِسْمِ اللهِ الرحْمنِ الرحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَب الْعَالَمينَ * الرحْمـــنِ الرحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدينِ * إِياكَ نَعْبُدُ وإِياكَ نَسْتَعِينُ * اهدِنَا الصرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضالينَ *

نُشر البارحة خبرٌ مفاده أن "البابا" قد تطرق إلى موضوع التعاليم الإسلامية خلال كلمته في إحدى الجامعات بألمانيا، ونسب إلى الإسلام ومؤسسه ﷺ والقرآن الكريم - نقلاً عن شخص آخر - أمورًا لا تمتّ إلى الحقيقة بصلة.

هذه طريقتهم المعتادة حيث يذكرون بكل دهاء أمرًا ما بلسان شخص آخر، بهدف أن يقولوا ما يحلو لهم بدون أن يُنسب الكلام إليهم. إن "البابا" لم يقدم بحديثه هذا عن القرآن الكريم والنبي ﷺ تصورًا خاطئًا فحسب - مما أثار القلق والاضطراب عند المسلمين - بل إن تصريحاته تنمّ عن مشاعره القلبية تجاه الإسلام.

نظرًا إلى المكانة التي يحتلّها البابا في العالم ما كان لائقًا به أن يتفوه بمثل هذا الكلام، مِن أي منطلق كان، ولاسيما في هذه الآونة التي تثار فيها مشاعر النفور والكراهية ضد المسلمين في العالم عمومًا وفي الغرب خصوصًا. فإن كلام البابا في هذه الفترة بالذات لهو بمنـــزلة إلقاء الزيت على النار.

كان يجدر به أن يقول بأنه على الرغم من أن بعض المنظمات الإسلامية الشريرة قد تبنّت موقف التزمت والعنف، إلا أن تعاليم الإسلام تهدف نحو إرساء دعائم السلام والأمن، لذلك فلا بد أن نتكاتف ونكثف الجهود حتى ننقذ الإنسانية البريئة من الدمار. وبدلاً من ذلك قد أوهم "البابا" بكلامه السالف إلى أتباعه أن هذا هو تعليم الإسلام حقيقة.

كنت أظن أن "البابا" رجل مثقف وعالِم، ولا بد أنه يعرف شيئًا من تعاليم الإسلام، غير أنه بقوله السالف قد أثبت عدم معرفته بالتعاليم الإسلامية.

كان ينبغي للبابا أن يسعى لإحلال السلام في العالم عملاً بتعليم المسيح ؑ الذي يدّعي هو بكونه خليفة له؛ إذ كان ذلك التعليم يحض على الإحسان إلى العدو أيضًا. غير أن كلام البابا ضد النبي ﷺ

والإسلام قد أدى إلى تجريح مشاعر المسلمين من ناحية.. فمن يفقد السيطرة على نفسه وضبط مشاعره من المسلمين سيُقدِم على أعمال سيستغلها هؤلاء "القوم" لمضاعفة الدعاية ضد الإسلام.. ومن ناحية ثانية إن أتباع البابا وأهل الغرب الذين يعتبرون الإسلام دين العنف والإرهاب ستمتلئ قلوبهم بالنفور والكراهية ضد المسلمين أكثر مما هي عليه. ندعو الله تعالى أن يرحم الجميع وينجي العالم من الفتن والفساد.

فأوّلاً يجب أن نكثر من الدعاء ونداوم عليه، ثم يجب أن نرد، في جميع البلاد، على المطاعن التي أثيرت في خطاب "البابا". لا سلاح لنا سوى هاتين الحربتين اللتين سوف نستخدمهما بتوفيق من الله تعالى. أما أي رد فعل سواهما فلم ولن يَظهر من أي مسلم أحمدي بإذن الله.

الآن أقرأ عليكم ملخص الاعتراضات التي قد أثارها البابا على القرآن ونبينا الكريم ﷺ، وقد حصلت على تفاصيلها من جماعتنا في ألمانيا.

يقول البابا: "لقد قرأت حوارًا نشره أحد الأساتذة الجامعيين في ألمانيا. وقد جرى هذا الحوار في عام ١٣٩١م في أنقرة بين الإمبراطور المسيحي "مانويل الثاني" وعالِم فارسي. ثم قام الإمبراطور بكتابة الحوار ونشره".

أقول: إذًا فإنهم يعترفون بأن الحوار قد نُشر من قبل الإمبراطور المسيحي، لذلك فلا بد أنه قد أعطى الأولوية لنفسه فأسهب بكلامه هو. ومن هنا نستكشف الأمانة العلمية لهذا المسيحي بحيث إنه أورد كلامه أكثر من العالم المسلم.

على أية حال، يقول "البابا" عن الاعتراضات التي أثارها: "إني أتناول نقطة مهمة وهي أن الإمبراطور يذكر الجهاد، وهو يعلم آية رقم ٢٥٦ من سورة البقرة وهي: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾". ثم يقول "البابا": "إن الإمبراطور كان أيضًا يعرف التعاليم المتأخرة والمتعلقة بالحرب والجهاد التي ذكر القرآن تفاصيلها. منها أنه ينبغي التفريق في التعامل مع الكفار ومع أهل الكتاب".

وأقول: إن هذا الكلام الأخير أورده البابا من عند نفسه.

ثم يقول: "إن الإمبراطور يستخدم، بشكل محير، كلمات قاسية في توجيه الأسئلة الأساسية إلى صاحبه، ويتكلم عن العلاقة بين الدين والإكراه. ثم يقول: ما هو الجديد الذي جاء به محمد؟ لن تجدوا سوى التعاليم الشريرة وغير الإنسانية، وبأن يُنشر دينه بحد السيف".

ثم يقول الإمبراطور: "لماذا يكون نشر الدين بالإكراه مخالفًا للعقل؟ ذلك لأن هذا التعليم يتصادم مع الطبيعة الإلهية وطبيعة الروح، إذ إن الله تعالى لا يحب إهراق الدماء. فكل عمل مخالف للعقل يتصادم مع الطبيعة الإلهية، وإن الإيمان إنما هو ثمرة الروح لا الجسد".

يقول البابا: "إن الجملة السابقة حقيقة واضحة بالنسبة للإمبراطور الذي تلقَّى التربية بحسب الفلسفة اليونانية. وما دام الله، بحسب الإسلام، إلهًا مطلقًا، أو ما دامت مشيئته مطلقة، فإنه لا يتقيد بأية أمور أرضية أو بالعقلانية".

ثم هناك رجل فرنسي خبير في العلوم الإسلامية، وقد قدم كلام "ابن حزم" ما معناه: ليس من شيء يُكرِه اللهَ لأن يبين الصدق لنا، كلا، بل لو شاء لأكرهَ الإنسان على عبادة الأصنام.

أقول: لا نعرف هل تكلم "ابن حزم" بمثل هذا الكلام أم لا، لأن المتحدث لم يقدم أي مرجع.

ثم يقول البابا: "هل الاعتقاد بأن الله تعالى لا يمكن أن يقوم بأمور مخالفة للعقل هو اعتقاد يوناني، أم هي حقيقة أزلية؟ أرى أن هناك توافقًا عميقا بين هذا الاعتقاد اليوناني والإيمان بالله بحسب تعاليم الكتاب المقدس".

وهناك أمور أخرى أيضًا قد وردت في هذه المحاضرة الطويلة.

فكما ذكرت سلفا إن "البابا" يعترف هنا بأن الراوي قد ذكر كلام الإمبراطور أكثر من كلام العالم الفارسي. ولا بد أن الكاتب المسيحي لهذه الحكاية سعى لتقوية أدلته، فالواضح أن أدلة الطرف الآخر لم تُقدَّم؛ مما يدل على أنهم لم يؤدّوا مقتضيات العدل والإنصاف، بل قالوا ما يحلو لهم.

على أية حال، ما هو رأينا نحن المسلمين الأحمديين حيال ذلك؟ سوف أقول شيئًا بإيجاز في هذا الصدد على ضوء القرآن الكريم والأسوة النبوية الشريفة. ولكن سوف نحضِّر ردودا مفصلة على مطاعن "البابا" وسنسعى لإيصالها إليه حتى يعرف التعاليم الإسلامية الصحيحة، إذا كان يجهلها إلى هذا الوقت، بشرط أن يقرأها بنظرة العدل والإنصاف ويتدبر فيها. نحن نكِنّ احترامًا عظيمًا تجاه عيسى عليه السلام ونعتبره نبيًّا صادقًا، بل نؤمن بجميع الأنبياء الذين أتوا إلى أقوامهم المختلفة ونحترمهم. فعلى المسيحيين أيضًا أن يراعوا مشاعر المسلمين ويحترموا النبي ﷺ.

يقول البابا: "إن الإمبراطور كان يعلم آية رقم ٢٥٦ من سورة البقرة وهي: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، وأن هذه السورة من أوائل سور القرآن نزولاً".

أقول: ليست هي من السور الابتدائية لهذه الدرجة بل نزلت في السنة الأولى أو الثانية من الفترة المدَنية.

ثم يقول: "ولكن الإمبراطور كان يعرف السور التي نزلت بعدها، فكان يعلم التعاليم التي جاءت بعد ذلك بخصوص الجهاد".

أقول: لا نعرف فيما إذا كان الإمبراطور يعلم ذلك أم لا، إلا أنه من البين أنه كان ينظر تجاه هذه التعاليم بنظرة المعارضة والعداء.

ثم يقول البابا: "القرآن يحتوي على تعليم أُمِر بموجبه التفريق في التعامل مع الكفار ومع أهل الكتاب، في حين أنه لا إكراه في الدين. ولن تجدوا في القرآن إلا التعاليم الشريرة واللاإنسانية بما فيها أن يُنشر الدين الإسلامي بحد السيف".

أقول: إنكم ترون أنهم يختلقون أمورًا من عند أنفسهم ثم ينسبونها إلى الإسلام مع أنها لا تمتّ إليه بصلة؛ ثم يصدرون القرار بأنفسهم أن هذه الأمور تخالف العقل وتتصادم مع عدل الله.

يقولون: "إن العاقل ليس بحاجة إلى الأسلحة ولا إلى استخدام القوة".

أقول: هذا الكلام صحيح تمامًا. غير أن قواهم الكبرى تتدخل في أمور الآخرين الذين يبعدون عنهم آلاف الأميال. فلماذا هي تستخدم القوة؟ أليس من واجبهم توجيه النصح لأفراد ملتهم أولاً وأن يخبروهم بأنهم يخطئون في هذا ولا يصيبون.

ثم إنهم لا ينظرون إلى ما حصل من حروب في التاريخ المسيحي، وما قامت به المسيحية في "أسبانيا" من مجازر أيام محاكم التفتيش، فبأية نظرة ينظرون إليها؟ أنا لا أريد الخوض في التفاصيل لأن الجميع يعرفون هذه الأمور.

ثم يقول البابا: "كان الإمبراطور يعرف أن التعاليم المنـــزلة بعد ذلك -أي بعد نزول آية ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾- تُعلِّم غير ذلك".

أقول: ما هي تعاليم الإسلام بخصوص نشر الدين، وما هي أسوة الرسول ﷺ بهذا الصدد؟ فلعل العالم الفارسي كان يجهلها، غير أنني سأقدمها لكم.

إن الإسلام دين الفطرة، فلم يعلّم بأن من ضربك على خدك فأدِرْ له الآخر أيضًا. ولكننا نسأل هؤلاء القوم الذين أُعطُوا هذا التعليم إلى أي مدى تعملون بحسبه؟ الواقع أن مثل هذه الأمور من تعليمهم قد أصبحت بمنـــزلة عيوب أدت إلى بُعدِ المسيحيين عن دينهم، فلا أحد يحضر الكنائس ولو مرةً واحدة في الأسبوع سوى العجائز. حتى إنهم قد بدأوا يؤجّرون الكنائس للاحتفالات والمناسبات الأخرى. فترى في الغرب لافتات معلقة على واجهات الكنائس مكتوب عليها: "للبيع".

لقد كتب بروفيسور أمريكي "أيدون لويس": "إن الناس في القرن العشرين ليسوا مستعدين لاعتبار المسيح إلهًا".

ويقول "السير سائرل" رئيس كلية "سينت جيمز" في "أكسفورد": "يجب التذكر دومًا أن عددًا كبيرا من الرجال والنساء من أوروبا وأمريكا لم يعودوا مسيحيين، ولربما الأصح أن معظمهم قد أصبحوا هكذا".

كذلك هناك تصريحات مماثلة عن أفريقيا أيضًا، إذ يعترفون بأنفسهم أن التعاليم المسيحية بدأت تتلاشى منها. ونتيجة لهذا الوضع لجأوا إلى هذه الطرق التافهة ضد الإسلام.

تعالوا نر الآن حقيقة الصورة التي يقدمها غير المسلمين عن الجهاد الإسلامي؟!

يقولون: كان الإمبراطور يعلَم بأحكام القرآن.

ولكن ماذا يقول القرآن الكريم بهذا الصدد؟ يقول الله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(الكهف:٣٠). لقد أمر الله تعالى هنا نبيّه ﷺ أن يخبر العالم أن الإسلام حقٌّ، وأن هذا الحق من ربكم، ولكنكم مخيرون في قبوله أو رفضه؛ فمن أراد قبوله فليؤمن ومن أراد رفضه فليكفر، لأنه قد صدر قرار رباني من قبل بأن ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.

ثم يقول تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾(يونس:١٠٩)

وقد طبق النبي ﷺ هذا التعليم بأسوته الحسنة أيضًا. كان الأنصار قد أعطوا أبناءهم لليهود من بني النضير، فلما أُجلِيَتْ بَنُو النضِيرِ من جراء أعمالهم، أراد الأنصار استعادة أبنائهم، فقال النبي ﷺ: لقد أعطيتم ما أعطيتم، ولا إكراه في الدين، فليبق هؤلاء عندهم الآن. ✪

كان الصحابة يفهمون هذا التعليم ويعملون بحسبه. يذكر مولى لعمر رضي الله عنه: كان عمر بن الخطاب يقول لي: أسلمْ، فأبيت عليه، فكان يقول: لا بأس، لا إكراه في الدين. فلما حضرته الوفاة أعتقَني، وقال: اذهب حيث شئت.#

✪ نص ما ورد في الحديث هو: عن ابنِ عَبّاسٍ قال: "كَانَتْ المَرْأَةُ تَكُونُ مِقْلاَتاً فَتَجْعَلُ عَلَى نَفْسِهَا إنْ عَاشَ لَهَا وَلَدٌ أنْ تُهَوِّدَهُ، فَلَمّا أُجْلِيَتْ بَنُو النضيرِ كَانَ فِيهِمْ مِنْ أبْنَاءِ الأنْصَارِ، فقَالُوا لاَ نَدَعُ أبْنَاءَنَا. فَأنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لا إِكْرَاهَ في الدّينِ قَدْ تَبَيّنَ الرّشْدُ مِنَ الْغَيّ﴾. قال أبُو دَاوُدَ: المِقْلاَةُ التي لا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ. (سنن أبي داود: كتاب الجهاد، باب في الأسير يُكره على الإسلام)

نص الرواية كالآتي: عن أبي هلال الطائي عن أسق قال: كنتُ مملوكًا لعمر بن الخطاب وأنا نصراني، فكان يعرض عليّ الإسلام ويقول: إنك لو أسلمتَ استعنتُ بك على أمانتي ،فإنه لا يحل لي أن أستعين بك على أمانة المسلمين ولستَ على

هذا هو التعليم الإسلامي، وهذه هي الأسوة العملية للمسلمين في حرية المعتقد بحيث لم يمارَس الإكراهُ حتى ضد المماليك والخدم. ويأتي البابا اليوم ويقول: "الإسلام يأمر بالجبر والإكراه في الدين"!!

ثم يقول القرآن الكريم: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾(آل عمران:٢١).. أي أن الله وحده يقرر من يعاقبه ومن يغفر له.

هذه هي أحكام الإسلام، والآية الأخيرة قد نزلت بعد فتح مكة حين كان المسلمون غالبين. فبدلاً من توجيه الاعتراضات التافهة عليهم أن يتعقلوا ويلتزموا بالعدل. لا يوجد في الإسلام أي مثال على الإكراه في الدين. إنهم يفترون على النبي ﷺ بأنه مارس الإكراه في حين أنه كان لا يقبل أن يدخل أحد الإسلامَ نفاقًا. ورد في رواية أن أسيرًا كافرًا عُرض عليه ﷺ، فقال: لماذا أسرتموني؟ فإني قد أسلمت. فقال ﷺ: لو أسلمتَ قبل ذلك لكان مقبولاً، أما الآن فتسلم خوفًا، وتقول ذلك ليُفَكّ أسرك. ثم أطلق سراحه لقاء إطلاق أسرى المسلمين.

إذًا فلم يكن النبي ﷺ يُدخل الناس في الإسلام قهرًا، إنما كان يهدف إلى أن تُقدَّم إلى الله تعالى قلوب مخلصة.

لقد أمر الإسلام بالحرب، ولكن فقط لصدّ العدوان أو دراً لفتنته، فإن تحسنت الأوضاع وانتهى العدو عن العدوان أو الفتنة فلا جواز لحربه. قال الله تعالى ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾(البقرة:١٩٤)

وقد ورد توضيح هذا الأمر الإلهي في رواية عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: قَدْ فَعَلْنَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ كَانَ الإِسْلامُ قَلِيلا، فَكَانَ الرَّجُلُ يُفْتَنُ فِي دِينِهِ، إِمَّا يَقْتُلُونَهُ وَإِمَّا يُوثِقُونَهُ، حَتَّى كَثُرَ الإِسْلَامُ فَلَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ (البخاري، كتاب التفسير). أي فلما انتهت الفتنة انتهى ما شُرِعَ بسببها.

ثم يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(المائدة:٩)

هذا هو العدل الذي أحدث انقلابًا ليس في زمن النبي ﷺ فقط بل بعده أيضًا. لو ألقيتم نظرة على حياة الصحابة لوجدتم أن الانقلاب الحاصل في حياتهم لا يمكن أن ينشأ بإكراه الناس على تغيير الدين، بل يحدث عندما تتغير القلوب وتتم حتى مع الأعداء معاملةٌ مثالية بحيث تحوّلهم محبين عشّاقًا.

دينهم، فأبيتُ عليه، فقال: لا إكراه في الدين. فلما حضرته الوفاة أعتقَني وأنا نصراني وقال: اذهبْ حيث شئت. (الطبقات الكبرى)

وقد حصل ما يشابه ذلك عند فتح مكة لما فر عكرمة.. أحد ألدّ الأعداء.. وطلبت زوجته من النبي ﷺ أن يعفو عنه، فعفا عنه. فماذا حدث في حياته بعد ذلك؟ لقد حدث انقلاب لا يمكن حدوثه بالسيف. لقد ازداد إيمانه وارتقى بحيث لا يمكن أن يتأتى ذلك بدون المحبة الحقيقية. لقد عمر القلوب إخلاصٌ لا يحصل إلا نتيجة الحب الصادق، وارتفعت مستويات التضحية بما لا يمكن أن يحدث مثله إلا بعد تغيير القلوب. لقد أبدوا على الإسلام غيرةً لا تأتي إلا بعد الفهم الصحيح لتعاليم الإسلام. ولقد أظهر الصحابة نماذج رائعة لحبهم للإسلام وغيرتهم عليه، والتاريخ حافل بمثل هذه الأحداث.

لقد شارك عكرمة في جميع الحروب ضد النبي ﷺ والمسلمين، وسعى جاهدًا للقضاء على الإسلام، وفي نهاية المطاف عندما فتحت مكة فرّ معتبرًا الانقياد للنبي ﷺ ذلة وهوانًا له. ولكنه لما أسلم ازداد إيمانًا وإخلاصًا لدرجة أنه استبسل في القتال ضد المتمردين في عهد أبي بكر رضي الله عنه. ففي إحدى المرات كانت المعركة على أشدها وبدأ الناس يُقطعون ويُحصدون بالسيوف كما يحصد العشب بالمنجل. فأخذ عكرمة في هذا الوقت الحرج بعضًا من أصحابه واقتحم جنود العدو حتى وصل في وسطهم. لقد منعه بعض الناس قائلين إن الحرب على أشدها فليس من المحبذ اقتحام جنود العدو في هذا الوقت، ولكن عكرمة لم يكترث لقولهم وتقدم قائلا: "كنت أقاتل بنفسي عن اللات والعزى فأبذلها لهما، أفأستبقيها عن الله ورسوله؟ لا والله أبدًا". وبعد انتهاء القتال وجدوا جثته ممزقة بجروح الأسنة والسيوف. (أسد الغابة في معرفة الصحابة، والإصابة في تمييز الصحابة)

أما بالنسبة إلى التضحية المالية فكان عكرمة كلما تلقى نصيبًا من الغنائم أنفقه في خدمة الدين. فمثل هذه التغيرات لا تحصل بالسيوف وإنما تحدث بالتغيير في القلوب.

إن التهمة التي تُلصق بالمسلمين أنهم كانوا يُكرهون الآخرين على الإسلام فالتاريخ يكذّبها. ولننظر إلى تعاليم الرسول ﷺ فيما يتعلق بمعاملة غير المسلمين وكيف كان ﷺ يحض كثيرًا ويهتم أشد الاهتمام بمعاملتهم بالحسنى.

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "مَن قتَل معاهِدًا لم يَرِحْ رائحةَ الجنة". (البخاري: كتاب الجهاد، باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم)

أما عمر رضي الله عنه فورد في رواية أنه مرّ بمسلمين يقسون على قوم غير مسلمين لامتناعهم عن أداء الجزية، فوقف عمر وسألهم غاضبًا: ما بال هؤلاء القوم؟ فقالوا عليهم الجزية لم يؤدوها، فهم يعذَّبون حتى يؤدوها. فقال عمر: فما يقولون؟ قالوا يقولون: لا نقدر على دفعها. فقال عمر: فدعوهم. لا تكلّفوهم ما لا

يطيقون، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تعذبوا الناس فإن الذين يعذّبون الناس في الدنيا يعذّبهم الله يوم القيامة. وأمر بهم، فخُلّيَ سبيلهم. (كتاب الخراج: فصل: من تجب عليه الجزية)

ونتيجة لوصية النبي ﷺ وأسوته كان عمر رضي الله عنه شديد الاهتمام برعاياه غير المسلمين، حتى كان فيما تكلم به عند وفاته "أوصي الخليفة من بعدي بذمة رسول الله ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلّفوا فوق طاقتهم". (كتاب الخراج: فصل: من تجب عليه الجزية)

إذا كان هؤلاء الناس يُكرَهون على الإسلام؛ فكيف يُؤمر المسلمون أن يعاملوهم بهذه المعاملة الطيبة.

وكان النبي ﷺ بعد هجرته إلى المدينة قد عقد مع يهود خيبر معاهدة، وكان يبعث صحابيه عبد الله بن رواحة رضي الله عنه للاقتطاع من محاصيل اليهود بحسب المعاهدة. فكان عبد الله بن رواحة يرفق بهم في الاقتطاع نتيجة ما أوصاه به النبي ﷺ، فكان يقسمها جزءين، ثم يخير اليهود أن يأخذوا ما شاءوا، ويأخذ هو ما تركوه. (سنن أبي داود: كتاب البيوع، باب في المساقاة*)

وبناءً على وصايا النبي ﷺ وقدوته كان عمر رضي الله عنه يهتم بأداء حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية ويعمل على راحتهم لدرجة أنه كان يوصي وُلاته برعاية أهل الذمة، كما كان رضي الله عنه يسأل الذميين عما إذا كانوا يعانون من شيء.. فقد جاءه ذات مرة وفد من أهل الذمة، فقال لهم: لعل المسلمين يُفضُون إلى أهل الذمة بأذًى وبأمورٍ لها ما ينتقضون بكم؟ فقالوا: ما نعلَم إلا وفاءً وحُسنَ مَلِكةٍ (أي حسن المعاملة). (تاريخ الطبري، سنة ١٧: ذكرُ فتح رامهرمز وتستر)

ولما فتح المسلمون بلاد الشام في عهد عمر رضي الله عنه أخذوا الجزية من سكانها المسيحيين بحسب المعاهدة، ولكن بعد أيام قليلة أوجسوا خطر الهجوم الجديد من قبل الإمبراطورية الرومانية، فرد الأمير المسلم على الشام أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه أموال الجزية كلها إلى المسيحيين قائلاً: ما دمنا لا نقدر على أداء حقوقكم نتيجة هذه الحرب، فلا يحق لنا أن نحتفظ بأموال الجزية التي أخذناها منكم. فأخذ المسيحيون يدعون للمسلمين قائلين: كتب الله تعالى لكم الفتح على الروم، وجعَل حكم هذه البلاد في أيديكم. فلما انتصر

---

* نص ما ورد في المصدر المشار إليه هو: عن ابنِ عَبّاسٍ قال: "افْتَتَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْبَرَ وَاشْتَرَطَ أنّ لَهُ الأرْضَ وَكُلّ صَفْرَاءَ وَبَيْضَاءَ. قالَ أهْلُ خَيْبَرَ: نَحْنُ أعْلَمُ بالأَرْضِ مِنْكُمْ فَأعْطِنَاهَا عَلَى أنّ لَكُم نِصفَ الثّمرَةِ وَلَنَا نِصفٌ. فَزعَمَ أنّهُ أعْطَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ. فَلَمّا كَانَ حِينَ يُصْرَمُ النّخْلُ بَعَثَ إلَيْهِمْ عَبْدَ اللهِ بنَ رَوَاحَةَ، فَحَزَرَ عَلَيْهِمْ النّخْلَ – وَهُوَ الّذِي يُسَمّيه أهْلُ المَدِينَةِ الْخَرْصَ – فَقَالَ: فِي ذِهْ كَذَا وَكَذَا. قالُوا: أَكْثَرْتَ عَلَيْنَا يَا ابْنَ رَوَاحَةَ. قالَ: فَأنَا إلى حَزْرِ النّخْلِ وَأُعْطِيكُمْ نِصْفَ الّذِي قُلْتُ. قَالُوا: هَذَا الْحَقّ، وَبِهِ تَقُومُ السّمَاءُ وَالأرْضُ. قَدْ رَضِينَا أنْ نَأْخُذَهُ بالّذِي قُلْتَ".

المسلمون على الروم فرح المسيحيون فرحة كبيرة وأعطوا أموال الجزية للمسلمين ثانية. (انظر كتاب الخراج لأبي يوسف، وفتوح البلدان للبلاذري: أمرُ حمص ويوم اليرموك)

فليخبرني هؤلاء هل هكذا يكون الإكراه في الدين؟!! الحق أن هؤلاء الذين يلصقون التهم الباطلة بالنبي ﷺ لو نظروا بعين الإنصاف في أحداث التاريخ؛ لوجدوا أنه ﷺ لم يُكره أحدًا على الإسلام قط؛ بل كان يدعو إلى الإسلام برفقٍ وحبٍ ولطفٍ لأن في هذا خير ومنفعة الإنسان الذي يدعى إلى الإسلام.

كان النبي ﷺ وصحابته يراعون مشاعر غير المسلمين زمن غلبة المسلمين وعهد حكمهم. ففي رواية أن غلامًا يهوديًا كان يخدم النبي ﷺ، فمرِض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: أسلِمْ. فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أَطِعْ أبا القاسم ﷺ. فأسلمَ، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: "الحمد لله الذي أنقذَه من النار." (البخاري: كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلّى عليه)

إن هذه الأحكام القرآنية الكريمة والأسوة النبوية الشريفة وتلك الأحداث وغيرها تكشف بطلان تلك المزاعم الظالمة والتهم الباطلة التي تنسب إلى الإسلام بأنه يُكره الآخرين على قبوله واعتناقه؛ وأنه قد انتشر بحد السيف.

وكما ذكرت آنفًا، إن تاريخ المسيحيين حافل بالمظالم التي ارتكبوها ضد الآخرين وخاصة في "أسبانيا"؛ وهذا يكشف حقيقة هؤلاء المتهمين. مع ذلك قد اعترف المسيحيون والمستشرقون المنصفون بعظمة النبي ﷺ، وأقرأ على مسامعكم بعضًا من أقوالهم.

قال "توماس كارلائل" Thomas Carlyle في كتابه "محاضرات عن الأبطال": "إن من الأمور الشائعة بيننا نحن المسيحيين أن محمدًا كان شخصًا ماكرًا خدّاعًا ومدّعيًا كذّابًا، وأن دينه لم يكن إلا ضربًا من الوهم والجنون، ولكن هذه المزاعم كلها قد بدأ زيفها ينكشف على الناس. إن الأباطيل التي أشاعها المسيحيون المتعصبون ضد محمد قد أصبحت تسوّد وجوهنا في العالم، أما الكلمات التي تفوه بها ذلك الإنسان (أي محمد) ما زالت سبب هداية لمئة وثمانين مليون إنسان منذ اثني عشر قرنا. فلا أحد في الدنيا يؤمن اليوم بكلام أي إنسان كما يؤمن المسلمون بكلام محمد. وأرى أنه ليس هناك فكرة أسوأ وأبعد عن العدل والإنصاف من أن يقال أن هذا الدين قد أسسه شخص كذاب". (Lectures on Heros)

وقال السير "وليام موير" Sir William Muir: "إننا نعترف بدون تردد أن محمدًا (ﷺ) قد قضى للأبد على معظم الأوهام الباطلة التي كانت ظلمتها مخيمة على الجزيرة العربية منذ قرون طويلة. كما أن مزايا الإسلام الاجتماعية أيضًا ليست بقليلة. والحق أن دين الإسلام يمكن أن يعتزّ بجدارة أنه يوجد فيه نموذج عال من الصلاح والطهارة لا يوجد له نظير في أي ديانة أخرى". (حياة محمد ﷺ)

وقال "إدوارد غبن" Edward Gibbon: "إن آخر ما أراه ملفتًا للنظر في سيرة محمد (ﷺ) هو السؤال: هل كانت رسالته نافعة للناس أم ضارة؟ الحق أن الذين يعادون محمدًا بشدة، وكذلك اليهود والنصارى الذين لا يؤمنون بصدق محمد، لا يملكون بدًا من الاعتراف أن محمدًا قد أعلن النبوة لنشر تعاليم مفيدة جدًا، وإن ظنوا أن ما قدمه دينهم بهذا الشأن هو الأفضل. وهذا يعني أنهم سيؤكدون بهذا الاعتراف أن الإسلام هو أفضل أديان العالم ما عدا اليهودية والمسيحية. لقد استبدل محمد بعبادة الفداء الدمويةِ الصلاةَ والصيام والزكاة وهي عبادة بسيطة وجميلة جدًّا.. أعني أنه قام بإلغاء القرابين البشرية التي كانت تُقدَّم باسم الأصنام. لقد نفخ محمد في المسلمين روح الصلاح والمحبة، وأمرهم بالإحسان فيما بينهم، وصدهم بقوة بأحكامه ووصاياه عن الانتقام وظلم الأرامل والأيتام. فاتحدت في العقيدة والطاعة الشعوبُ التي كانت تتعطش بعضها لدماء بعض، وإن عاطفة الشجاعة التي كانت تهدر عبثًا في الخصومات العائلية بشكل مخجل قد وُجِّهت إلى محاربة عدو خارجي بشكل رائع".

ويقول المؤرخ "جون ديون بورت" John Davenport:

"إنه لمن الخطأ الفاحش الظنّ أن العقيدة التي دعا إليها القرآن قد انتشرت بحدّ السيف. وإن كل من هو منـــزه عن التعصب سيعترف بلا تردد أن دين محمد قد جلب لأهل الشرق بركة حقيقية، حيث أخذت الصلاة والصدقات مكان القرابين البشرية، ونفخ هذا الدين في الناس روحًا للتسامح وحسن المعاشرة عوضًا من العداوات والنـــزاعات التي لم تكن لها نهاية. ولهذا السبب بالذات لم يكن محمد بحاجة لاتخاذ التدابير الدموية التي لجأ إليها موسى – دونما استثناء وتمييز بين الناس – للقضاء على عبادة الأصنام. أفليس من الغباء الشديد الاعتراضُ بوقاحة على هذه الوسيلة الرائعة وذكرُها بسوء، وقد خلقها الله تعالى لتترك أثرها العميق على أفكار الناس وقضاياهم لأمد بعيد"؟

يقول "إدوارد غبن" Edward Gibbon أيضًا: "لا شك أن النبي قد اعتبر حروب المسلمين مقدسة، إلا أن وصاياه وقدوته التي قدمها في حياته قد جعلت خلفاءه يمنحون أتباع الأديان الأخرى الحرية الدينية. لقد كانت الجزيرة العربية معبداً لرب محمد، وكان قد قام بفتحها، ولو أراد لقام بإبادة كل أولئك الذين كانوا يؤمنون بالآلهة الزائفة ويعبدون الأصنام، وكان هذا حقًا مشروعًا له، غير أنه اتخذ التدابير الحكيمة جداً متمسكًا بالعدل والإنصاف".

ويقول "كونت تولستائي" Count Tolstoy: "مما لا شك فيه أن محمداً (ﷺ) كان مصلحًا عظيمًا، وقد أسدى للإنسانية خدمات رائعة. ألا يكفيه فخراً أنه قد أخرج أمته من الظلمات إلى نور الحق حتى جعلهم

مولعين بالأمن والسلام ومحبين للورع والتقوى. لقد صدَّ أمتَه من إراقة الدماء، وفتح عليهم سبيل الرقي والتمدن الحقيقي. والحق أن هذا الإنجاز العظيم لا يتم إلا على يد شخص تعينه قوة خفية، وإن هذا الشخص يستحق كل تقدير واحترام". (تأييد الإسلام، طبعة ١٩٣٥ بلاهور)

ويقول "جورج برنارد شو" G. Bernard Shaw: "إن الرهبان المسيحيين من القرون الوسطى قد قدموا الإسلام بصورة مخيفة للغاية، ولا ينتهي الأمر هنا فحسب، بل إنهم لم يذكروا محمدًا بكلمات حسنة. لقد درست هذه الأمور بإمعان، وقد توصلت إلى النتيجة أن محمداً ﷺ كان شخصية عظيمة ومخلِّصًا حقيقيًا للإنسانية".

وقال المؤرخ المسيحي المعروف "ريفرند باسفورث سميث" Rev. Bosworth Smith: "لقد اجتمعت في شخص محمد شخصيتان، شخصية البابا وشخصية قيصر كونه مؤسسَ دين وحاكمَ دولة. لقد كان محمد بمنـــزلة "البابا" ولكنه كان أسمى من المظاهر البابوية، وكان قيصرًا ولكن بدون الأُبّهة القيصرية. ولو حُقَّ لشخص أن يعلن أنه قد أرسى دعائم الأمن والسلام في العالم باسم الله فقط، من دون اللجوء إلى جيش نظامي وقصور ملَكية وجبايات وإتاوات، فإنما هو محمد ﷺ. لقد كان يملك القوة كلها بدون أن يلجأ إلى هذه التدابير والأسباب".

وقال Pringle Kennedy: "ها إنني أقولها علنًا إن محمداً كان إنساناً عظيما جاء إلى الدنيا. فلكي ندرك أبعاد نجاحه المحير لا بد لنا من الإلمام بالظروف السائدة في عصره. لقد جاء إلى الدنيا بعد ولادة المسيح بخمسة قرون ونصف قرن، حين كانت الأديان القديمة - المتواجدة في الولايات البالغ عددها مئة وواحدة في مناطق اليونان والروم والجزيرة العربية - قد صارت عقيمة الجدوى. وكانت هيبة الإمبراطورية الرومانية قد أصبحت حقيقة ملموسة، وكانت عبادة هذه الإمبراطورية وطاعتها بمثابة الديانة الرسمية عند القيصر الرومي. لا شك أنه كانت ثمة ديانات أخرى، ولكن أتباعها كانوا منجرفين في هذا التيار الجديد. ورغم كل هذا فشلت الإمبراطورية الرومانية في أن تَهَب السكينة للناس. وأخذت ديانات الشرق وأوهامُ مصر والشام وإيران تغزو الإمبراطوريةَ الرومية حتى استولت على عقول أكثرية المتدينين. إن أكبر عيب وجد في هذه الديانات كلها هو أنها كانت قد تدهورت من نواحٍ عديدة وإلى أبعد الحدود. فالمسيحية التي غزت الإمبراطورية الرومانية في القرن الرابع كانت قد اتبعت التقاليد الرومانية، ولم تعد عندها ديانةً خالصة، ولم تتمسك بالتعليم الذي كانت تدعو إليه قبل ثلاثة قرون. بل صارت بلا روحانية، ومالت إلى الدنيا ومتعها. فكيف، يا ترى، حصل هذا الانقلاب المدهش في الأوضاع في بضع سنين؟ أعني كيف تحولَت في عام ٥٦٠

الميلادي منطقة واسعة من الدنيا إلى منطقة مختلفة تمامًا. لا شك أن هذا الانقلاب كان فاتحة عهد رائع في تاريخ الإنسانية. ثم لم يزل هذا الانقلاب في تطور مستمر.... لم تقدر الآراء المعارضة من قبل المتطرفين من المسيحيين والمستشرقين أن تقلّل من التأثير العميق الذي تركته حياة محمد (ﷺ) في تاريخ العالم. وإننا مضطرون للاعتراف بأن محمدًا (ﷺ) كان أروع مثال للانقلاب الذي تم على يد إنسان". (Arabian Society At The Time of Muhammad p. 8-10, 18-21)

وقال "س. ب. سكوت" S. P. Scott: "إذا كانت غاية الدين هي نشر الأخلاق والقضاءُ على الشر، وسعادة الناس ورخاؤهم، وتطوير الكفاءات العقلية لدى الإنسان، وإذا كان الإنسان سينال الجزاء على حسناته في ذلك اليوم العظيم الذي سيُحشر فيه الناس كلهم أمام ربهم يوم القيامة، فلا بد لنا من الاعتراف أن محمدًا (ﷺ) كان رسول الله حقًا، و لم تكن دعواه بلا أساس وبدون دليل".

(S. P. Scott, History of the Moorish Empire in Europe, p. 126)

عندي العديد من المقتبسات ولا أستطيع أن أقرأها عليكم كلها؛ لذا أنتقي منها البعض لضيق الوقت.

وقالت "روث كرانستون" Ruth Cranston: "لم يبدأ محمد العربي (ﷺ) الحرب وإراقة الدماء في أية مناسبة، بل كل حرب خاضها كانت دفاعية، و لم يحارب إلا حفاظًا على حياته، و لم يحارب إلا بأسلحة وأساليب عصره. وإننا نستطيع القول بكل ثقة ويقين أنه لن يوجد بين الشعوب المسيحية البالغ عددها مئة وأربعين مليونًا – أي وقتَ كتابة هذا المقال – والتي قامت بإبادة أكثر من مئة ألف وعشرين ألف إنسان بالقنبلة (الذرية)، أقول: لن يوجد بينهم شعبٌ واحد بإمكانه أن ينظر بالشك والريبة إلى زعيم لم يقتل في جميع حروبه، وفي أسوأ الظروف، أكثر من خمس مئة أو ست مئة إنسان. إنه لمن الحماقة الشديدة أن يقارن أحد بين الذين ماتوا على يد نبيّ العرب في العصور المظلمة من القرن السابع حين كان الناس متعطشين لدماء بعضهم البعض، وبين الأرواح التي أزهقت اليوم في هذا العصر المستنير في القرن العشرين. وغني عن البيان تلك المجازر التي تمت على أيدي المسيحيين أثناء محاكم التفتيش في أسبانيا وإبان الحروب الصليبية، حيث سجّل المحاربون المسيحيون أنهم كانوا "يجرون في أنهار من الدماء التي سالت من الجثث الممزقة لهؤلاء الكفار." (Ruth Cranston, World Faiths, New york, 1949 p 155)

ويقول "جون ديون بورت" John Davenport: "إننا نستطيع القول بكل صدق ويقين أنه لو كان الأمراء الغربيون حاكمين على آسيا مكان المجاهدين المسلمين والأتراك لما عاملوا المسلمين بنفس التسامح الذي عامل به المسلمون المسيحيين، حيث إن المسيحيين قاموا –تعصبًا وظلمًا منهم– بتعذيب إخوانهم المسيحيين الذين اختلفوا معهم في الدين".

(Davenport, An Apology for Mohammad and Koran p 84)

وقد قال المسيح الموعود عليه السلام ردًّا على مطاعن القسيسين:

"ومن الاعتراضات التي أثارها المحاضر أن القرآن الكريم يأمر بإكراه الناس على الإسلام. ويبدو أن هذا المحاضر ليس عنده شيء من العقل والعلم، وإنما يردد ما قاله القسيسون. فقد افترى هؤلاء القسيسون في كتبهم – حسدًا وبغضًا منهم كما هو دأبهم – أن الإسلام يأمر المسلمين بقهر الناس على اعتناق الإسلام، فردد المحاضر وإخوانه الآخرون، وبدون أي فحص وتحقيق، نفس التهمة التي لفقها القسس كذبًا وزورًا. مع أن القرآن الكريم يقول في إحدى آياته صراحة ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾.[⊡] أليس من الغريب أنه برغم أن القرآن الكريم قد نهى بهذه الصراحة والوضوح عن ممارسة الإكراه والقهر في أمور الدين، ومع ذلك يتجاسر هؤلاء القوم الذين قد اسودّت قلوبهم بغضًا وعداءً على أن يفتروا على وحي الله تعالى بأنه يأمر بممارسة الجبر والإكراه؟ ونقدّم الآن آية أخرى من القرآن الكريم، ونرجو من المنصفين أن يخبرونا – خائفين الله تعالى – ما إذا كانت هذه الآية تجيز الإكراه في الدين أم أنها تنهى عن الجبر والإكراه في الدين صراحة. وهذه الآية هي قول الله تعالى ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ﴾[◈]، بمعنى أن من الواجب عليكم أن تعاملوا هؤلاء معاملة لينة لأنهم قوم لا يعلمون حقيقة الإسلام. ومن الواضح أن القرآن الكريم لو كان يعلّم الإكراه في الدين لما أوجب إسماعَ الكافرِ القرآنَ إن أراد، ثم إذا سمعه و لم يعتنق الإسلام فيجب إيصاله إلى المكان الذي يجد فيه الأمان، بل لأمرَ القرآن الكريم بإكراه مثل هذا الكافر على الإسلام". (جشمه معرفت، الخزائن الروحانية المجلد ٢٣ ص ٢٣٢-٢٣٣)

ثم يقول البابا في محاضرته تلك عن إله الإسلام: "إن إله الإسلام لا يقبله العقل".

فأقول: إن إله الإسلام يدعو الإنسان إلى إعمال العقل لكي يثبت وجوده. وإذا كانوا يعتقدون بأن الله تعالى هو خالق السماوات والأرض ومالكها؛ فعليهم أن يعترفوا أيضًا بأنه تعالى يملك القدرة كلها. وعليهم ألا يسخروا من النظرية التي يقدمها الإسلام عن الله تعالى؛ بل الأحرى بهم أن يتفكروا ويتدبروا فيها.

يقول المسيح الموعود عليه السلام بهذا الصدد:

[⊡] سورة البقرة: ٢٥٧

[◈] سورة التوبة:٦

"إن إله الإسلام هو نفس الإله الحق الذي يتجلى من خلال مرآة القوانين الإلهية وصحيفة الفطرة. إن الإسلام لم يدعُ إلى أي إله جديد، وإنما قدّم نفس الإله الذي يقدمه نورُ قلب الإنسان وعقلُه ومرآةُ السماوات والأرض". (مجموعة الإعلانات المجلد ٢ ص ٣١٠-٣١١)

يقول المسيح الموعود عليه السلام أيضًا:

"اعلموا أن الإله الذي دعانا إليه القرآن الكريم قد وُصف فيه بما يلي:

قوله تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾(الحشر: ٢٣)،

وقوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾(الفاتحة:٤)،

وقوله تعالى: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾(الحشر: ٢٤)،

وقوله تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(الحشر: ٢٥)،

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(البقرة: ١٤٩)،

وقوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾(الفاتحة)،

وقوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾(البقرة: ١٨٧)،

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾(آل عمران: ٣)،

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾(الإخلاص)

.. أي أن الله هو الإله الأحد، الذي ليس له شريك يستحق العبادةَ والطاعة. ذلك لأنه لو كان ثمة إله شريك معه في الألوهية لجاز أن يتغلب عليه هذا الإله الشريك، وبالتالي تتعرض ألوهيته للخطر. وقوله بأنّ لا أحد يستحق العبادة سواه فيعني أنه إله كامل ذو محامد كاملة ومحاسن عالية وكمالات سامية.. بحيث لو أردنا أن نختار معبودًا من بين جميع الموجودات نظراً إلى كمال الصفات، أو تصورنا غايةَ ما نستطيع تصوُّرَه من صفاتٍ أعظم وأعلى لمعبود، لكان الله هو الأعلى بين الجميع.. الذي لا أعلى منه مطلقاً.. هو الله.. الذي من الظلم أن يُشرَك في عبادته مَن هو دونه".

فالإسلام ينهى عن الشرك؛ أما المسيحيون فهم الذين يظلمون ويشركون بالله حيث اتخذوا نبيًّا من أنبياء الله تعالى إلهًا.

ويضيف المسيح الموعود عليه السلام ويقول: "ثم قال الله تعالى إنه "عَالِم الْغَيْبِ"، أي أنه هو نفسه يعلم ذاته، ولا يقدر غيره أن يحيط ويدرك ذاته. نستطيع أن نرى صورة الشمس والقمر وكل مخلوق، إلا أننا عاجزون عن رؤية ذات الله تعالى.

ثم قال "والشهادة"، يعني أنه لا شيء مستتر عن نظره، إذ لا يجوز أن يسمّى إلهًا ومع ذلك يبقى في غفلة عن علم المخلوقات. كلا، إن كل ذرّة من العالم تحت بصره، وأما الإنسان فلا يستطيع ذلك. إنه تعالى يعلم متى يُفني هذا النظام ومتى يقيم القيامةَ، ولكن لا أحد سواه يعلم متى يكون هذا.. فالذي يعلم جميعَ هذه المواعيد هو الله وحده.

وقوله "هُوَ الرَّحمنُ" يعني أنه هو الذي يُهيئ لذوات الحياة كلَّ ما تحتاج إليه من أسباب المعيشة والراحة - حتى قبل وجودها. كل ذلك بمحض فضله، وليس نتيجةً لأعمالها أو سعيها. فإنه سبحانه خلَق لأجلنا الشمس والأرض وغيرهما من المخلوقات حتى قبل وجودنا ووجود أعمالنا. وهذا العطاء يسمّى في كتاب الله "الرحمانية"، وباعتبار هذا الصنيع يُدعى الله بـــ"الرحمن".

وقوله تعالى "الرَّحِيم" يعني أنه يجزي على الأعمال الصالحة خيراً، ولا يضيع عمل عامل. وباعتبار هذه الصفة يُدعَى "الرحيم"، وصفته هذه تسمى "الرحيمية".

وقوله تعالى "مالك يوم الدين" يعني أنه جعل في يده جزاءَ كل واحد، وليس ثمة وكيلٌ فوّض إليه تدبيرَ ملك السماوات والأرض، وقعد بنفسه جانباً لا يفعل شيئاً، بينما يقوم أو سيقوم وكيله بمهمة الجزاء والعقاب".

فالله تعالى لا يحتاج إلى أي شيء لأنه مالك كل شيء؛ وليس بحاجة أبدًا لأن يشكّل لجنة من الآلهة لكي تساعده. فإذا كانوا يتحدثون عن العقل ويدَّعون بأن الإله الذي يقدمه الإسلام لا يقبله العقل؛ فالحقُّ أن العقل لا يقبل تصوُّرهم عن الله تعالى.

ويضيف المسيح الموعود عليه السلام ويقول:

"ثم قال تعالى: "المَلِكُ القُدُّوسُ" أي أنه صاحب السلطان الذي ليس فيه وصمة عيب، ذلك لأن من الواضح أن مُلك البشر لا يخلو من نقص وعيب. فمثلا لو هاجرت الرعيّة كلها من دولة ملكٍ إلى دولة أخرى لضاع مُلكه؛ أو لو حل القحط والمجاعة بجميع رعيّته، فمن أين يجبي الأموال؟ أو إذا قامت الرعيّة تجادل الملك قائلة: بأي ميزة صرتَ علينا ملِكًا.. فماذا عساه يقول ردًّا على ذلك؟ ولكن سُلطان الله ليس كهذا. إنه قادر على أن يُهلك الجميعَ في لمح البصر ويأتي بخلق آخر جديد. ولو لم يكن خلاّقاً وقديرًا هكذا

لَما قام حُكمه إلا بظلم واعتساف. وإلا فمن أين يأتي بمخلوق جديد إلى الدنيا ليمارس عليهم سلطانه.. بعد أن يكون قد شمل جميعَ خلقه الأولين بالعفو والنجاة؟ فهل يسترد – ظلماً واعتسافًا – من عباده الناجين النعمَ التي أعطاهم إياها، ويسلبهم المغفرةَ التي تفضّل بها عليهم، لكي يزجَّ بهم مرة أخرى في الحياة الدنيا لكى يعمِّرها ويحكمها. وفي هذه الحالة كانت ألوهيته معيبة، وصار مُلكه ناقصًا شأنَ ملوك الدنيا الذين لا يبرحون يسنّون لرعيتهم قوانين جديدة، ويستبد بهم الغضب على كل صغيرة وكبيرة، وعندما لا يجدون بدًّا من الظلم – قضاءً لمآربهم – يستسيغون الظلم والجور كما يستسيغ الرضيع لبنَ أمه. فمثلا يجيز القانون الملكي إغراقَ ركاب سفينة صغيرة إنقاذاً لسفينة كبيرة، ولكن يجب ألا يواجه الإله القدير مثلَ هذا الاضطرار. فلو لم يكن الإلهُ كاملاً في قدرته، خلاقاً من عدمٍ محض، فإنه – بدلاً من إظهار قدرته – للجأ إلى الظلم والجور، كالملوك الضعفاء، أو تخلّى عن ألوهيته مراعاةً للعدل. كلا، بل إن سفينة الله سائرة مع كل قدرة وفي عدل كامل.

وقوله تعالى "السَّلامُ" يعني أنه منـــزه عن جميع العيوب، سالم من كل المصائب والمشقات، بل وإنه مانح السلام للآخرين. وهذا بديهي، لأنه لو كان بنفسه عُرضةً للنوائب والضرب بأيدي الناس، وللفشل في إرادته فكيف تطمئن قلوبنا – برؤية سوء حاله هذا – بأن مثل هذا الإله يستطيع أن يخلصنا من الآلام يقيناً؟ ولأجل ذلك يقول تعالى في الآلهة الباطلة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ⊙

.. وقوله تعالى: "ضعُف الطالبُ والمطلوب" يعني أن عبدة هذه الآلهة ضعافُ العقول. أما الآلهة نفسها فهي ضعيفة القوة والحيلة. فهل يمكن لمثل هؤلاء أن يكونوا آلهة حقًا؟ إنما الإله مَن يكون أقوى من كلِّ قوي وغالباً على الجميع. لا أحد يقدر على القبض عليه أو على ضربه. إن الذين يعتقدون بعقائد خاطئة كهذه لا يعرفون عظمة الله تعالى، ولا يدرون ما هي الصفات الواجبة للإله.

أما قوله "المؤمِنُ" فيعني أنه واهب الأمان، والذي يقيم الدلائل على توحيده وكمالاته. وفي هذا إشارة إلى أن المؤمن بالإله الحق لا يخزى أبدًا في أي مجلس، كما لن يخجل أمام ربّه أيضًا، ذلك لأن معه أقوى البراهين. أما عابد الإله الباطل فهو دائمًا في مشكلة كبيرة، وبدلاً من بيان الأدلة يسوق كلَّ لاغية وواهية مدعياً أنها من الأسرار الغامضة، هروباً من خزي الاستهزاء، وإخفاءً لأخطاء تَأَكّدَ زيفُها.

⊙ (سورة الحج: ٧٤-٧٥)

وقال تعالى: "المهيمن العزيز الجبار المتكبر".. أي أنه الحافظ للجميع، الغالب عليهم، المصلح لما خرب وفسد، المستغني كل الاستغناء.

وقال تعالى: "الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى".. أي أنه خالق الأرواح كما أنه خالق الأجسام، وأنه المصور في الأرحام، وأنه صاحب جميع الأسماء الحسنى التي يمكن أن تُتَصوّر.

وقال تعالى: "يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم".. أي أن سكان السماوات يذكرون اسمه بالتسبيح والتقديس كما يذكره سكان الأرض. وفي هذه الآية إشارة إلى أن الأجرام السماوية أيضًا عامرة بمخلوق آخر، وأنه هو الآخر مكلف بالعمل بأحكام الله تعالى.

وأما قوله تعالى: "على كل شيء قدير" ففيه سُلوان للعابدين.. إذ ما الفائدة أن نعقد على الله أملاً إذا كان عاجزاً لا يقدر على شيء؟

وقوله تعالى: "رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين" يعني أنه هو الإله الذي يقوم بتربية كل العوالم. وأنه رحمان رحيم، وهو بنفسه مالك يوم الدين، ولم يجعل هذه السُّلطة في يد أحد غيره.

وقوله تعالى: "أجيب دعوة الداعي إذا دعاني".. يعني أنه يسمع دعاءَ كلِّ داعٍ ويرُدّ على دعائه ويستجيب له.

وقوله تعالى: "هو الحي القيوم".. يعني أنه الباقي للأبد، وأنه حياةُ جميع الأحياء وقوامُ الموجودات كلها. إذ لولا أنه الأزليّ الأبديُّ لكنّا دائماً أبداً في قلق ووَجَل من موته قبل موتنا.

وقوله تعالى: "قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد".. يعني أنه وحده إله، وليس بوالدٍ لأحد، ولا مولود لأحد، ولا ندَّ له، ولا أحدَ من جنسه". (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية المجلد ص ٥٨-٦٢)

ويقول عليه السلام أيضًا:

"اعلموا أن هذه الديانة التي تُدعى المسيحية إنما هي دين بولس لا دين المسيح عليه السلام، إذ لم يعلّم المسيحُ الثالوثَ في أي مكان قط، بل لم يزل حتى وفاته يدعو إلى الله الواحد الذي لا شريك له. ثم بعد وفاته ظل أخوه يعقوب - الذي كان خليفة له وكان إنسانًا صالحًا - يعلّم وحدانية الله تعالى، وقد بدأ بولس يعارض هذا الرجل الصالح بدون داع، وأخذ يعلِّم الناس ما يتنافى مع عقائده الصحيحة، وتطرَّفَ في عقائده لدرجة أنه لفّق دينًا جديدًا، وأخرج جماعته من العمل بالتوراة كلية، وأخبر الناس أنه لا حاجة للعمل بالشريعة في الديانة المسيحية بعد فداء المسيح، وأن دم المسيح يكفي لغفران الذنوب، ولا حاجة للعمل بالتوراة. ثم إنه

أدخل نجاسة أخرى في هذا الدين حيث أحل لهم أكل لحم الخنـــزير، مع أن المسيح عليه السلام عدَّه في الإنجيل نجسًا، فإنك تقرأ فيه قوله: "لا تطرحوا درركم قُدّام الخنازير"*، وحيث إن المسيح قد سمى التعليم الطاهر دررًا، فثبت بهذه المقارنة صراحة أنه قد أطلق على الشخص النجس خنـــزيرًا. والحق أن شعب اليونان كانوا يأكلون لحم الخنـــزيز كما يأكله كل الأوروبيين اليوم، فأحل بولس لحمه لجماعته تأليفًا لقلوب اليونانيين، مع أنه قد ورد في التوراة أن الخنـــزير حرام مطلقًا، حتى إن لَمْسَه حرام أيضًا. خلاصة القول إن كل المفاسد والعيوب قد دخلت في هذا الدين بواسطة بولس". (جشمه مسيحي، الخزائن الروحانية المجلد ٢٠ ص ٣٧٤-٣٧٥)

ولقد قال المسيحي "إيدورد غبن" Edward Gibbon: "إن دين الإسلام منـــزه عن الشكوك والشبهات. إن القرآن يمثل شهادة رائعة على وحدانية الله تعالى. وإن الرسول المكي قد قام بتفنيد عبادة الأصنام والناس والنجوم بالأدلة العقلية. إن المبدأ الأول الأساس- أي وجود البارئ تعالى - الذي أساسه العقل والوحي، قد أُرسيت دعائمه بشهادة محمد (صلى الله عليه وسلم)، ولذلك تجد أتباعه من الهند إلى المغرب يُعرفون باسم الموحِّدين".

هذا هو إله الإسلام الذي ليس بوسع كل من عنده العقل والتدبر إلا أن يقرّ بأن القرآن الكريم هو الذي قد قدم الأدلة والبراهين التي تدل على وجود الله تعالى.

في الأخير أقول لكل مسلم أحمدي إن هذه الحرب المثارة ضد الإسلام لن ننتصر فيها إلا بالإنابة إلى الله تعالى والاستعانة به عز وجل. لذا عليكم أن تتضرعوا إلى الله تعالى وتدْعوه أكثر من ذي قبل بأن يُرينا تجليات قدرته وأن ينجي هذا العالم من الآلهة الباطلة. إذا كان هذه الشعوب بسبب ثروتها وقوتها المادية تهاجم الإسلام والنبي صلى الله عليه وسلم؛ فإن الله تعالى سيكسر كبرياءها بسهام أدعيتنا. فادعو الله تعالى. ادعو ذلك الإله القدير الذي هو خالق الكون؛ الذي هو رب العالمين؛ الذي هو رب المصطفى صلى الله عليه وسلم، أن يُرسي حكمه في كل العالم بأسرع وقت.

وعلى المسلمين الآخرين أن يتعقلوا وينسوا ما بينهم من اختلافات فرعية وينبذوا نزاعاتهم ومشاحناتهم الداخلية، وأن يتحدوا جميعًا من أجل رفع راية المصطفى صلى الله عليه وسلم عاليةً خفاقةً. وعليهم جميعًا أن يرتدعوا عن الأعمال التي بسببها يطعن فيهم الأغيار. وفّقنا الله تعالى لذلك. آمين

---

* (متى ٧: ٦)

إن شاء الله تعالى، بعد صلاة الجمعة سنصلي صلاة الجنازة على بعض الإخوة والأخوات الذين تُوفّوا في الأيام الماضية. أوّلاً أذكر السيد/ بير معين الدين المحترم؛ وهو زوج بنت المصلح الموعود ﷺ، ويكون خالاً لي. لقد قام بالتدريس في الجماعة الأحمدية. كان شخصية علمية. كان – رحمه الله– من الواقفين حياهم لخدمة الإسلام.

والجنازة الثانية هي للسيدة/ آمنة خاتون وهي زوجة مولانا/ نذير أحمد المبشر السيالكوتي، وقد خدمت مع زوجها في "غانا" مدة طويلة وضحّت كثيرًا؛ رفع الله درجتها.

أما الجنازة الثالثة فهي للسيد ميجور/ سعيد أحمد الذي كان زوج بنت حضرة مير محمد إسحاق ﷺ. له ابنان من الواقفين أحدهما سيد جليد أحمد والثاني سيد حسين أحمد.

والجنازة الرابعة هي لأم أحد الدعاة وهو السيد/ مظفر أحمد؛ وإن شاء الله تعالى سوف نصلي عليها صلاة الجنازة للغائب.

والجنازة الخامسة هي للسيدة/ سردار بيغم وهي أيضًا أم لأحد الدعاة ..السيد/ عبد الناصر منصور، وهي زوجة الدكتور/ رياض أحمد. كان الخليفة الرابع – رحمه الله – قد وعدها بالصلاة عليها عند وفاتها.

ندعو الله تعالى أن يغفر لهؤلاء الإخوة والأخوات وأن يرفع درجاتهم. آمين